المجمع **12** (2017/1438)، 75-110

من ملامح النقد البلاغي عند عبد الغني النابلسي

رضوان "محمد سعيد" عجاج إيزولي*

تلخيص:

هذه الدراسة تلقي الضوء على النقد البلاغي عند عبدالغني بن إسماعيل النابلسي وذلك من خلال كتابه " نفحات الأزهار على نسمات الأسحار شرح البديعيَّة المُزَرِيَّة"، حيث وجد الباحث مادة نقدية غزيرة عرض خلاله لمقارنات لبديعيّات سبقته قام أصحابها بتناولها وشرحها، وهم: صفي الدِّين الحليّ، والشيخ عزالدين المُوصِلي، وابن حِجَّة الحموي، وعائشة الباعونيّة، وهم من أشهر من كتبوا البديعيّات وناقشوا علم البديع، ونجد النابلسي في كتابه هذا قد اتبع منهجا نقديا لا يقل قيمة عن منهج علماء النقد القديم، حيث إننا نجد خلاله ناقدا يملك أدوات النقد من علم وذوق وقدرة على التحليل والتعليل والاستشهاد وبيان مواطن الحسن والجمال في النصوص الجميلة ومواطن القبح في النصوص الرديئة كما نجد ناقدا بعيدا عن التعصب لهذا أو ذاك، وكان يسلط نقده على النص الذي ينظر فيه بغض النظر عن صاحبه، كما نجد النابلسي لم يقف عند الشعراء الأربعة المذكورين فحسب، بل نجده يذكر شواهد من الشعر وينقدها حسنا أو قبحا مأخوذة من العصور السابقة من العصر الجاهلي حتى عصر النابلسي (العصر العثماني المتأخر) هذا العصر الذي ادعى بعض الدارسين والمستشرقين ومن تأثر بهم؛ أن قلَّ فيه الإبداع، وجمدت فيه القرائح، واهتم الشعراء بظاهر اللفظ وإظهار القدرة على الوصول إلى المحسنات البديعية: اللفظية والمعنوية.

الكلمات المفتاحية: عبد الغني النابلسي، الأدب، البلاغة، النقد، البديعيات

المقدمة:

النابلسي[1] أديب وعالم من أدباء العصر العثماني، هذا العصر الذي لم ينل حظا وافرا من الدراسة كما حظيت به عصور الازدهار التي سبقت العصور المتتابعة، تلك العصور التي ظهر

* جامعة البلقاء التطبيقية- كلية الحصن الجامعية.

[1] هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد .... النابلسي المقدسي الكتاني (1050-1143هـ)-(1731-1641م). ينسب إلى أسرة عريقة بالعلم والأدب ينحدر من سلالة بني قدامة وبني جماعة وبني النابلسي. حفظ القران في السابعة، وحفظ العديد من الأحاديث النبوية من جوامع الكلم مع أسانيدها وحفظ المنظومات العلمية والفقهية، ومجموعة من الأشعار القديمة الهادفة في الحكم وما أن

فيها الكتّاب والمؤلفون المبدعون والأدباء والشعراء الذين ملؤوا الدنيا وشغلوا الدارسين، على العكس من العصور المتتابعة عامة والعثماني خاصة الذي ضعفت فيه الملكات وجمدت القرائح، وشاعت فيه مظاهر الصنعة والتكلف، كما وصفه الكثير من الدارسين والنقاد دون ترو ودراسة جادة، مما جعل إقبال الدارسين على دراسة هذه العصور محدودا، وإذا تناولوه بالدرس تناولوه على استحياء، مما جعل الدراسات حول هذا العصر محدودة وأحيانا غير منصفة.

هذه الدراسة تسلط الضوء على النقد عند الأديب عبد الغني النابلسي؛ لما وجده الباحث من مادة نقدية غزيرة في كتابه "نفحات الأزهار على نسمات الأسحار" جديرة بالدرس، خاصة وأن هذا الجانب لم يتناوله الدارسون من قبل حسب علم الباحث واطلاعه.

ومما دعاني إلى تناول النقد عند عبد الغني النابلسي، اطلاعي على كتابه "نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار" وحين قرأته، وقعت على ما أشرت إليه من توافر المادة النقدية التي يعرضها النابلسي، ووجدت أنه يصدر أحكاما جديرة أن يطلع دارسو الأدب والنقد عليها.

بلغ التاسعة من عمره حتى تدبر القرآن وأتقن تجويده وترتيله والإحاطة بعلومه اطلع على التفاسير في مكتبة والده، تذوَّق الشعر العربي بعد حفظه العديد من شعر أشهر الشعراء في مختلف العصور، فلانت قريحته الشعرية فقرض الشعر وهو في الثانية عشرة من عمره. وافاه الأجل عام 1343هـ عن عمر 93سنة و كانت حافلة بالعطاء، والإنتاج العلمي الذي خلد اسمه، في العالم الإسلامي، والمؤسسات الفكرية ودفن في الصالحية في دمشق الشام لترجمته انظر كتاب: النابلسي محمد راتب: الشام وصالحيتها من خلال ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، ص532. وانظر ترجمته في كتاب: المرادي محمد خليل بن علي أبو الفضل; سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، مصر-القاهرة، مطبعة الميرية ببولاق، 1301هـ، ص486 وانظر ترجمته في كتاب: الغزي كمال الدين محمد بن محمد شريف/ العامري، الورد ألأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الشيخ، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 2015.

سيدرس البحث، قضايا النقد عند عبد الغني النابلسي في كتابه نفحات الأزهار ويسلط الضوء على منهج النابلسي النقدي، وأسلوبه في معالجة قضايا البديع، إذ الكتاب شرح لبديعيّته نسمات الأسحار، ويناقش فيه الأنواع البديعية وتداخلها، ويقارن بين بديعيات صفيِّ الدين الحلِّيّ، والشيخ عز الدين الموصلي، وابن حجّة الحموي، وبديعيّة عائشة الباعونية، ومن خلال شروحهم[1]. وقد تناولت في دراستي هذه بعض القضايا البديعية التي تناولها النابلسي بالنقد والتي انفرد بها وكذلك تلك المقابلات بين النصوص والمختارات التي تنم عن ذوق النابلسي وقدرته على إصدار الأحكام المنطقية على النصوص التي تناولها دون تعصب إلى هذا أو ذاك وأرجو في بحثي هذا أن أكون قد وفقت في إضافة مادة علمية موثقة وتبرز لنا ناقدا قد أغفلته الدراسات العلمية ليضم إلى علماء النقد العربي الذين سبقوه أو جاؤوا بعده. إضافة إلى فنون بديعية انفرد بها النابلسي: الإضراب، التأريخ، الاستشهاد، التصحيح.

- **مشكلة البحث**: تكمن إشكالية البحث في تسليط الضوء على النقد عند النابلسي الذي غاب عن الدراسات الأكاديمية والبحوث العلمية ما يقارب الثلاثة قرون، ولم تستفد الدراسات الأكاديمية من نقده
- **الدراسات السابقة**: لم يصل إلى علم الباحث أن هناك دراسة متخصصة تناولت النابلسي ناقدا تتناول النقد البلاغي أو اللغوي أو أية قضية من قضايا النقد كالسرقات الأدبية واللفظ والمعنى أو غيرها.
- **هدف البحث**: يهدف البحث إلى بيان عناية النابلسي بالنقد عامة والبلاغي خاصة، كما يهدف إلى إبراز ناقد غفل عنه الدارسون وغمروه على شهرته في عصره من خلال إلقاء الضوء على بعض الظواهر البلاغية ذات القيمة الفنية ومدى تأثيرها في المتلقي.

[1] الحلي، شرح صفي الدين الحلي بديعيته في مؤلفه: النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية في المدائح النبوية.ابن حجة الحموي بديعية في كتابه خزانة الأدب، والباعونية شرحتها في كتابها: الفتح المبين في مدح الأمين، ولم أطلع على شرح الشيخ عزالدين الموصلي وقد أشار إليه النابلسي في مقدمته ولم يذكر اسمه

- **منهج البحث**: التزم الباحث في دراسته هذه المنهج التحليلي الوصفي والاستقرائي ليصل إلى نتائج علمية مقنعة نسبيا من خلال إثبات عبارات النابلسي في نفحاته وشروحه ومقابلته للنصوص والتمثيل عليها من مختاراته الناتجة عن تجربة وفكر ناقد وهذا ما يناسب المنهج التحليلي الذي اعتمده الباحث.
- **حدود البحث**: يعالج البحث النقد عند عالم وأديب وفقيه وناقد من نقاد العصر العثماني وبيان ما خفي عن الدارسين من القيمة النقدية عند عبد الغني النابلسي من خلال كتابه "نفحات الأزهار".

من ملامح النقد عند النابلسي خلاصات نقدية بلاغية عامة:

تطالعنا مقدمة نفحات الأزهار بخلاصة نقدية حول شروح أصحاب البديعيّات الأربعة التي ناقشها النابلسي خلال مقارناته لهذه البديعيات وشروحها[1]، مما أثار في نفسه أن ينظم بديعيّته، لما شاهد فيها مما لا ينسجم مع ذوقه، ويخالف معاني بعض الأنواع البديعية. ونجده أثناء ذلك يبين مواطن الحسن والجمال ومواطن القبح والرداءة، من خلال ما يملكه من أدوات النقد المعتمدة عند النقاد كالذوق والتعليل والمقايسة وحفظ الموروث الشعري والثقافة الأدبية الواسعة، وما يملكه من العلم بالشعر قوافيه وموسيقاه، ولفظه ومعناه وأغراضه، والإنصاف في إصدار الأحكام المعللة، فلم يتعصب لشاعر على آخر[2] بل تجده يثني في مواطن الحسن والجمال، ويقدح في مواطن السوء والقبح، ومن ذلك قوله في مقدمته: فالحليّ" لم يوف بالمقاصد، ولا أبان عما في النَّوع من الخبايا، بل ترك ذلك مهملا، بل ربما لم يصب في بعض الأنواع"[3]. والموصلي:" تعسّف وتكلّف في غالب أبياته، وهجر مضجع الرقّة

[1] يقول النابلسي: عندما شاهدت هذه البديعيات الأربع، ... وتأملت ما نقلوه في شروحها، من العبارات والشواهد. ص: 3

[2] النابلسي عبدالغني بن إسماعيل، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، شرح البديعية المزرية بالعقود الجوهرية، عالم الكتب، بيروت ط3، 1404هـ-1984م، ص: 4

[3] ن.م.، ص: 3

والانسجام، ثم شرحها شرحا ...لم يشف غلة الأفكار"[1]. وابن حجة الحموي: عارض الموصلي وجاراه وزاحمه فيما اقترحه واجتراه، ولم يزد على ما ذكره من الأنواع شيئا، بل ربما نقص عن ذلك معيبا بعض الأنواع، ثم شرح قصيدته شرحا أخذ فيه بأذيال الإطالة، وألبسه حلل السآمة والملالة، واعترض فيه على القوم، وقال لمتعصبي أفكاره هلم فاليوم اليوم، وتشدّق في عباراته وأفحش في إشاراته، مع ما في أبيات قصيدته من الركَّة والقلاقة، واختلاس كلمات الغير بحسب ما عنده من الفاقة"[2]. والباعونية: نظمت قصيدتها على مثال قصيدة ابن حجة مع عدم تسمية النوع، تمسّكا بطلاقة الألفاظ، وانسجام الكلمات، وشرحتها شرحا مختصرا، وقفت عليه بخطها ... أسفرت فيه عن لثام البيان، بقدر الطاقة، وحسب التيسير"[3].

نلاحظ ما في هذه العبارات من **مآخذ النابلسي** العامة على هذه البديعيات ما يلي: عدم إصابة بعض الأنواع. التعسف والتكلف. وعدم الرقّة والانسجام والشرح غير الكافي والاجترار، والشرح الطويل المملّ. والتشدق والفحش والركّة والقلاقة واختلاس كلمات الغير.

كل هذه الملاحظات النقدية ذكرها في مقدمته، وفصّل في شرحها لاحقا؛ ولذا فملاحظاته في المقدمة لنتائج توصل إليها أثناء معالجاته للأنواع البديعيَّة. وكلُّها قضايا نقديَّة جديرة بالدرس والتحليل. فمثل هذه العبارات النقدية تجعلنا ندرس النقد البلاغي عند النابلسي.

والمراد بالنقد البلاغي:" النقد الذي يعتمد على البلاغة وعلومها في إصدار حكم نقدي يسعى للكشف عن القيم الفنيّة الجماليّة في النصوص الأدبيّة شعريّة كانت أم نثرية"[4] ونعلم أنّ النقاد أول ما ألفوا في النقد كان اعتمادهم على القضايا البلاغية، والبلاغة منطلق النقد

[1] ن.م.، ص: 3

[2] ن.م.، ص: 3

[3] ن.م.، ص: 3

[4] الأبرش نوال، أحمد علي محمد النقد البلاغي عند صلاح الدين الصفدي، مجلة جامعة البعث، المجلد36، العدد10، 2014،

كما نجده عند قدامى النقاد. ككتاب البديع لابن المعتز، وأسرار البلاغة للقاضي الجرجاني، وسواهما.

والنابلسي شغوف بعلوم البلاغة وخاصة فن البديع، فيراه من أجل العلوم: "يكسو المعاني حلل الرونق والقبول، وينظم الكلمات في سلك القرائح والعقول"[1] ويظهر اهتمام النابلسي في البلاغة من خلال ما ثقّف فيه نفسه في شتى العلوم والنظر فيها من خلال ذوقه المدرّب.

طريقته في معالجة النصوص ونقدها: التزم النابلسي طريقة منظمة في تحليل النصوص ونقدها في كتابه "نفحات الأزهار"، فنجده يذكر النوع البديعي، ويمثّل عليه أولا من بديعيته، وبعد ذلك يعرّف بالنوع البديعيّ، ويبيّن مطابقة بيته للنوع، ثم يذكر الشواهد على النوع ويبيّن مطابقتها للنوع، ثم يتقد نقدا موضوعيا يثني على الحسن منه، ويبيّن مواطنه، وينقد القبيح كذلك ويبين مواطنه، يعتمد في ذلك على ذائقته الأدبية ومدلّلا على ذلك من الشعر، معتمدا على ألفاظ وعبارات نقديّة، ومستشهدا بآراء بعض النّقاد السابقين، ممّا جعل هذا الكتاب واحة نقد تبيّن لنا ما كانت عليه ملامح النقد البلاغي في العصر العثماني المتأخر.

وبعد ذلك يذكر أبيات البديعيّات الأربع ويناقشها، ويبين ما فيها من التطابق مع التعريف أو عدمه، ثم يصدر حكمه معلّلا ومبيّنا الأسباب سلبا أو إيجابا كما نجد ذلك في الأنواع البديعية التالية:

1. **الاتّساع**: " وهو أن يأتي المتكلم بكلام يتَّسع فيه التأويل، بحسب ما تحتمله ألفاظه فتتّسع الرواة في تأويله، على قدر عقولهم، بجسب قوى الناظر فيه وذلك قولي:

يعلو ويشــرق في يومي وغى وندى كـأنـه البـدر في داجٍ من الظُّلم

يعلو في يوم وغى أيْ: حرب؛ بانتصاره على الأعداء، ويشرق في يوم ندى أي: عطاء بتهلله في أوجه العفاة، ويحتمل عكس هذا، ويحتمل يعلو ويشرق في يوم الوغى ويعلو ويشرق في يوم النّدى، وقولي: كأنه البدر إلى آخره يحتمل تشبيهه باعتبار علوّه في يوم الوغى؛ لأنّ

[1] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص 2

البدر عالي المنال، وذكر الدجا والظلَم على سبيل التشبيه للحرب بذلك، ويحتمل تشبيهه باعتبار إشراقه في يوم النّدى، ويكون ذكر الظُّلَم تكميلا للتشبيه، إذ البدر لا يكثر شروقه إلا في الظلماء، ويكثر الكلام للمتأملين في ذلك"[1]. ثم نجده يمثّل عليه ببيت امرئ القيس الذي يتَّسع فيه التأويل:

إذا قامتا تضوّع المِسك منهما نسيم الصّبا جاءت بريا القرنفل[2]

فيذكر ما قيل في تأويله " فإنّ هذا البيت اتّسع النقد في تأويله فمن قائل يتضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا، ومن قائل يتضوع المَسك بفتح الميم يعني الجلد بنسيم الصبا والأول أنور الوجوه"[3] نجده استشهد ببيت امرؤ القيس ثم يعرض ما قيل في تأويل البيت وبعده يقرر رأيه أن الأول أنور الوجوه، ومن ثم يمثل على الاتّساع ببيت المتنبي:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا[4]

ويعلّق على ما فيه من اتّساع ويقول: فالظاهر أنَّ قوله: لها جار ومجرور، متعلق بوجدت، لكن فيه تعدي فعل الفاعل الظاهر إلى ضميره المتصل وذلك ممتنع كقولك ضربه زيد فينبغي أن يقدر صفة في الأصل لسبلا، فلمّا قدم عليه صار حالا منه كما أنّ قوله: إلى أرواحنا كذلك، إذ المعنى سبلا مسلوكة إلى أرواحنا، ولك في لها وجه غريب وهو أنْ تقدره جمعا لِلَهاة كحصاة وحصا، وتكون المنايا مضافة إليه ويكون إثبات اللهوات للمنايا استعارة شبهت بشيء يبتلع الناس، ويكون أقام اللها مقام الأفواه لمجاورة اللهوات للفم"[5]

---

[1] ن.م.، ص: 196

[2] الزوزني الحسين بن أحمد، **شرح المعلقات السبع**، بيروت- لبنان، دار القلم، د ت، ص:11

[3] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص:169

[4] اليازجي الشيخ ناصيف، **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيّب**، بيروت، دار صادر، د ت، المجلد1، ص:108

[5] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 169 و170

وهكذا يسترسل النابلسي في توضيح الاتّساع ويبين وجوه المعنى الممكنة لقول المتنبي ثم يأتي بشاهد آخر للمتبني وهو قوله:

كشفت[1] ثلاث ذوائب من شَعرها في ليلة فأَرَتْ لياليَ أربعا
واستقبلت قمر السّماء بوجهها فأرتني القمرين في وقتٍ معا[2]

ثم يذكر قول التبريزي:" يجوز أنّه أراد قمرا وقمرا لأنّه لا يجتمع قمران حقيقيان في ليلة... وهذا ادعاء من الشاعر ومبالغة بجعل هذه المرأة قمرا فلا يقدح فيه كونه ملتزما لخلاف الواقع وهو اجتماع قمرين أو اجتماع شمس وقمر"[3] وبعده يبين لنا قول الصفدي: وليس معنى البيت كما يظنه بعض الناس... وإنما التحقيق أنها لما استقبلت قمر السماء ارتسم خياله في وجهها فرآهما في وقت واحد، كما تقابل الأشكال المرآة، فتنطبع الصورة فيها فترى المرآة والأشكال المنطبعة فيها في وقت معا"[4] وهكذا يسترسل النابلسي في بيان معنى الاتّساع من خلال الشواهد وما جرى عليها من تفسير وتأويل فيورد قولا ثالثا، وهكذا نجده لا ينفك ألبتة من ذكر الشواهد حتى يشبع النوع نقدا ويمثل لذلك بشاهد آخر وهو قول الشاعر في الاتساع:

"رأت قمر السماء فأذكرتني لياليَ وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني"[5]

---

[1] وردت بروايتين كشفت ونشرت انظر **العرف الطيب**، مرجع سابق، المجلد1، ص:257

[2] يصنف اليازجي هذه الأبيات بالمعاني المبتكرة عند المتنبي وهي مما تناهى فيه في الرقة والرشاقة وابدع في التشبيه والتمثيل إلى ما لا نهاية له في الحسن . **العرف الطيب** مرجع سابق، المجلد1، ص: 46

[3] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 170

[4] الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك، **رشف الزلال في وصف الهلال**، تحقيق: محمد عايش، سوريا، دار الأوائل، 2009

[5] للنابلسي رسالة بعنوان:"رسالة في معنى بيتين : رأت قمر السماء وذكرتني. أنظر هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين المجلد الأول، إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف، استانبول سنه 1951 دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، ص:594

ثم يؤول البيت ويبين ما فيه من اتساع فيقول: "وهذا من المبالغة حيث ادعى أنَّ القمر الحقيقي هو وجهها وأن قمر السماء ليس قمرا حقيقيا؛ وإنّما أطلق ذلك عليه مجازا لمشابهته لوجهها. وقوله: رأيت بعينها ورأت بعيني يرشد إليه؛ لأنّه رأى بعينها التي رأت بها القمر قمرا حقيقيا ورأت بعينه التي رأى بها وجهها قمرا مجازيا على زعمها وباعتبار الظاهر وقد ذكر هذا المعنى الصفدي في رشف الزلال وعبارته: وأحسن ما يمكن أن يقال في هذا: أنّ معنى قمرين قمر حقيقي وهو قمر السماء وقمر مجازي وهو وجه المحبوبة فهو يقول: هي رأت القمر المجازي وهو قمر السماء، وأنا رأيت وجهها وهو القمر الحقيقي؛ لأنها هي نظرت إلى قمر السماء وهو نظر إلى وجهها فصحّ أنّه رأى بعينها وهي رأت بعينه، وهذه مبالغة وإفراط في الوصف وهي عادة الشعراء أنْ يجعلوا المحبوب هو القمر الحقيقي، والذي في السّماء القمر المجازي انتهى"[1]. ثم يعرض رأي الشيخ اللّبان الصوفي في معنى هذين البيتين فقال: يشير هذا الشاعر إلى أن قمر السماء من عشّاق محبوبته، وأن محبوبته رأته ذات ليلة، فكسته برؤيتها له نور جمالها ومحاسن صفاتها، وألقت عليه شبهها، وأعارته اسمها فأذكرت هذا العاشق بتلك الليالي التي وصلته بالرقمتين، وأنها بوصالها له أفنته عن صفاته، وغلبت عليه بصفاتها، حتى صارت معه كالقمر الواحد، وكلاهما ينظره؛ ولهذا قال: كلانا ناظر قمرا؛ أي قمرا واحدا تعدد مظهر، ولكنها تنظره بعينه: وهي عين المحبة؛ لأنّ المحبَّ صار محبوبا وهو ينظر بعينها؛ لأنها أعارته عينا رآها بها، فكأنّ البصر لها نفسها"[2]، ثم بعد ذلك يذكر بيتا لأبي تمّام قد سئل عن معنى قوله:[3]

كوامنُ الحبِّ فيك كونُك في: أفئدةِ العشّاقِ لم تكن فأجاب على ذلك شعرا ونثرا فمن الشعر قال:

إنْ كَانت الخَمرُ قد عَزتْ وَقَد مُنِعت وَحَالَ من دونِها الإســلامُ والحَرجُ

[1] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 170

[2] ن.م.، ص: 170 و171

[3] حبيب بن أوس الطائي **ديوان أبي تمام**، فسر ألفاظه محي الدين الخياط، د ت ص:465

الحســن جزء من وجهك الحســن يـا قـمـرا طـالـعـا عـلـى غصــن
إن كنـت واحـدا في الحســن فـأنـا واحـد الـحســن واحـد الـحـزن
كـل ســقــام تــراه فـي أحــد فـذاك فـرع الأصــل في بـدنـي

ويقول شارحا:" فالكوامن جمع كامنة وهي ما يكمن في القلب من الأمور العظام أي يختفي، ومنه الكمين للضمير والحبُّ بالضمّ المحبة، وهي الميل الروحاني التي تعجز فيه الألفاظ عن بلوغ المعاني، والكون هو الوجود، وضدّه العدم. يقال كان الشيء كونا وكينونة إذا وجد، والأفئدة جمع فؤاد وهو القلب، والعاشقين جمع عاشق؛ وهو من تلبّس بالمحبّة المفرطة الغِيرة المنضبطة، وأمّا بيان الإعراب فالكوامن مبتدأ والحبُّ مضاف إليه وقوله فيك الجار والمجرور متعلق بقوله: لم تكن في آخر البيت، وقوله: كونك في أفئدة العاشقين: بدل اشتمال من الكوامن. وجملة: لم تكن من الفعل والفاعل المستتر العائد إلى الكوامن في محل رفع خبر المبتدأ. والمعنى: يا أيها المعشوق لا غرو وإن أكثرت هذا النحيب والإعراض، وأطلت علينا هذه المشاق الطوال العراض، فإنّ كوامن المحبة التي منها كونك موجود في قلوب العشاق، لم تكن فيك، ولم يوجد لها بفيك مذاق.أ هـ.

هكذا شرح البيت: شعرا ونثرا ببيان معاني الألفاظ ومن ثم الإعراب وبعدها بيّن المعنى المحتمل. ونجده بعد كل هذه المقدمات والتعريف بالنوع البديعي وذكر الشواهد والتعليق عليها سلبا أو إيجابا وبيان ما فيها من حسن أو قبح أو إغارة أو تعديل لفظ مكان لفظ كما في قوله: فلو قال كذا لكان أحسن وأفضل وأزكى وأجمل وبعد ذلك يستعرض أبيات الشعراء الأربعة ناقدا، وحاكما عليها، فما وجده موافقا يثني علية بلفظ موح، أو يتركه دون تعليق، وأما إن كان غير موافق للنوع البديعي أو وجد فيه إغارة أو لفظا موحشا أو معنى قلقا أو عبارة غير مستقيمة في النحو والإعراب، فنجده يبين وينتقد ويعلق ويشدد النكير من خلال التعليق والتوضيح والتصحيح والتمثيل بذكر الشواهد. وقد يكتفي بذكر ألفاظ موحية بالتهكم كون الخطأ لا يحتاج إلى دليل. ففي تعليقه على بيت الحلي:

بيضُ المفارقِ لا عيب يدنّسـهم شـمُّ الأُنوفِ طوال البـاعِ والأمم

يبين ما فيه من "اتساع" في المعنى والتأويل، ومن معاني هذا البيت قوله: بيض المفارق يحتمل أنْ يراد به الطّهارة والعفاف؛ لأنَّ العرب موصوفون بالسمرة وما وُصِفٌ أحد منهم بالبياض إلا كناية عن الطهارة والعفاف كقولهم: أبيض العرض والأخلاق والشيم والحسب، وما أشبه ذلك، ويحتمل أنْ يراد به أنهم كهول ومشايخ قد حنكتهم التجارب وليسوا بأغمار، ويحتمل أن يراد ليسوا بعبيد؛ لأنَّ فرق الإنسان إذا كان أبيض كان جسده جميعه أبيض، ويحتمل أنْ يراد انتشار الشعر عن مقدم رؤوسهم لمداومة لبس المغافر والبيض، فإنَّ في أشعارهم كثيرا من ذلك. وقد ذكر في شرح غريب الحماسة شيئا من ذلك في تأويل قول أبي تمَّام: "بيض مفارقنا تغلي مراجلنا"[1]. وهكذا نجد النابلسي في نقده للنوع البديعي، فلا يتركه حتى يحيط بما لديه حول هذا النوع، ولم يقصر نقده على بديعيته فحسب، بل كان يناقش ويقارن ويمثل ويستشهد وينظر في آراء النقاد والشرّاح، ثم يصدر حكمه وهذا ما لجأ إليه أهل النقد المعتمدون

2. **الجناس**: اعتمد النابلسي على شاعريته وذائقته الفنية، ومخزونه من الحفظ، وثقافته الواسعة، واطلاعه على كتب الأدب السابقة؛ مما جعله ناقدا يصدر أحكاما نقدية على ما يسمع أو يقرأ، وبلغة الأديب المنصف دون تعسف أو تحيَّز، فحين يتذوق الشعر الجميل يحكم عليه بالجمال، وحين يسمع غير ذلك تمجّه ذائقته وينقده فنراه ينتقد ابن حجة الحموي في قوله:

وذيل الهمِّ همل الدمع لي فجرى كلاحق الغيث حيث الأرض في ضرم

يقول النابلسي ناقدا: "ومن العجائب أنه اختار في شرحه الفرق بين الجناس اللاحق والمضارع ورجحه، ولم يفرق بينهما في بيته هذا، فإنّه أراد باللاحق في هذا البيت قوله: غيث وحيث وهو جناس مضارع؛ لأنَّ العين المعجمة في مخرج الحاء المهملة كما لا

[1] انظر النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 171-169

يخفى"[1]وقليل من يفرق بينهما (اللاحق والمضارع) والمراد بالجناس المضارع المشابهة، وهو أن يكون الحرف المبدل من مخرج المبدل منه أو قريبا إليه كقول الشيخ جمال الدين بن نباته:

رقّ النسيم كرِقّتي من بعدكم لكنَّنا في حبِّنا نتغاير
ووعدت بالسلوان واشٍ عابكم فكأنَّنا في كذبنا نتخاير

وللقاضي الفاضل:

سلْ طائرا صدع الفؤاد بسحره أتراه غرد صادعا أم صادحا

3. **الطباق**: ينقد النابلسي ابن حجّة الحموي في بيته:

بوحشة بدّلوا أنسي وقد خفضوا قدري وزادوا علوا في طباقهم

ومراد المطابقة بين الوحشة والأنس وبين خفضوا وزادوا علوا ولم يعل هذا البيت في طباقه، ولا تفيأ أحد من البديع بظل أوراقه، وإنما ذلك زعم من القائل ليس تحته طائل"[2]

4. **الالتفات**: يأخذ النابلسي على ابن حجة الحموي مخالفته للمعنى الاصطلاحي لهذا النوع من البديع وذلك في قوله:

وما أروني التفاتا عند نفرتهم وأنت يا ظبي أدرى بالتفاتهم

يقول: "فإنّه انتقل من الإخبار عن أحبته، إلى مخاطبة من ليس منهم، بقوله: وأنت يا ظبي... الخ، ولا يقال المراد بالظبي هو المخبر عنه، ولا بصيغة الجمع تعظيما؛ لأنّه أعاد صيغة الجمع معه في آخر البيت كما ترى. ويقول: "وهل يشترط في الالتفات أن يكون المخاطب في الحالين واحدا؟ ذكر صدر الأفاضل في ضرام السقط[3] أنّ ذلك شرط كقوله

[1] ن.م.، ص: 36

[2] ن.م.، ص:43

[3] صدر الأفاضل، القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي، **ضرام السقط، شرح سقط الزند**، مخطوط في مكتبة برلين تحت رقم 761، والمكتبة القيصرية في النمسا تحت رقم 46

تعالى: "إياك نعبد" فإنّ ما قبل هذا الكلام وإن لم يخاطب به الله تعالى من حيث الظاهر، فهو بمنزلة المخاطب به؛ لأنّ ذلك يجري من العبد مع الله تعالى لا مع غيره بخلاف قول جرير[653-732]:[1]

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
أغثني يا فداك أبي وأمي بسيب منك إنّك ذو ارتياح

فانه ليس من الالتفات في شيء، لانّ المخاطب في البيت الأول امرأة، والمخاطب في البيت الثاني هو الخليفة، وهذا أخصّ من تفسير الجمهور."[2]

5. **التهكم**: يشتد نقد النابلسي لصفيّ الدين الحليّ على بيته:

محضت لي النصح إحسانا إليّ بلا غشٍّ وقلدتني الإنعام فاحتكم[3]

يقول النابلسي: "صدق من قال لم يظهر لي في هذا البيت غير صريح المدح والشكر، ولم أجد فيه لفظة تدل على الحقارة والاستهزاء، ولا على البشارة في موضع الإنذار، ولا على الوعد في موضع الوعيد، ولم يشر في بيته إلى نوع من هذه الأنواع، بل أرسله مدحا للعاذل، بشهادة الأسماع"[4] وكذلك فعل الشيخ عزالدين الموصلي حيث ذكر التهكم على العذول لما خاطبه بلفظ العزِّ والكرم ولكنه لم يأت بصيغة التهكم في قوله:

لقد تهكمت فيما قد منحتك من قوْلي بأنك ذو عزّ وذو كرم[5]

يقول: ومن العجائب أنّ ابن حجّة بعد نقله لهذا الكلام من بيت الموصلي أورد بيته على وجه الإعجاب وهو قوله: من غير فرق بين البيتين في محل الانتقاد.

---

[1] محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، **شرح ديوان جرير**، مضافا إليه تفسيرات محمد بن حبيب، مطبعة الصاوي، القاهرة، ط1، 1353هـ، ص:98

[2] النابلسي، نفحات الأزهار، ص:57

[3] "البديعيات الخمس في مدح النبي المختار" مطبعة الفجالة، مصر 1897م، ص:34

[4] النابلسي، نفحات الأزهار، ص:62

[5] البديعيات الخمس في مدح النبي المختار م س، ص16

ذل العذول بهم وجدا فقلت له تهكما أنت ذو عز وذو كرم

وفي معرض نقده للباعونية يقول متهكما على قولها: بأن الله فتح عليها بالمقصود من "التهكم" ووضوحه الذي لا يخفى إلا على أجنبي من هذه الصناعة وذلك في بيتها:

يا عاذلي أنت معذور فسوف ترى إذا بدا الصبح ما غطت يد الظلم

ليت شعري أيّ كلمة تشعر بالذم في هذا البيت، وما هو إلا كبيت الصفيّ الحلي محض لمدح العاذل وقبول عذره!".[1]

6. **الكلام الجامع**: يعلق على بيت الموصلي:

كلامه جامع وصف الكلام كما يهيج الشوق أنواعا من الرنم

وقد صدق من قال ليس في هذا البيت ما يدل على حكمة ولا موعظة ولا غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الأمثال. ويستحسن النابلسي الكلام الجامع الذي تكون جملة ألفاظه: حكمة أو موعظة أو تنبيها أو من الحقائق التي تجري مجرى المثل كما في قوله (النابلسي):

ومن يكن بسوى الأشواق متصفا فانه بعد لم يوجد من العدم

فنرى النابلسي معجبا ببيته؛ لأنّه وافق التعريف فوصفه بأنّه "ظاهر المعنى مرتفع المبنى لا يحتاج إلى بيان، وذلك كقول المتنبي:[2]

إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وقول نجم الدين عماره اليمني ت: 1174م: [3]

---

[1] ن.م.، ص:63

[2] المتنبي، **ديوان المتنبي**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر،1983م،ص:261

[3] عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني،.مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام (أمير مكة) إلى الفائز الفاطمي فأحسن الفاطميون إليه فأقام عندهم ومدحهم. له تصانيف، منها (أخبار اليمن- ط)، وأخبار الوزراء المصريين- ط، وديوان شعر- خ كبير. فهو من شعراء خريدة العصر.

من كان لا يعشــق الأجيـاد والحـدقـا ويـدعي لـذة الـدنيـا فمـا صـــدقـا

وكقول الشاعر:

إذا لـم يكـن عـون مـن الله لـلـفـتى فـأول مـا يجني عليـه اجتهـاده"[1]

7. "**التجزئة**" يوجه النابلسي سهام نقده لعائشة الباعونية التي لم تدرك معنى التجزئة، كما أنها جزمت المضارع دون جازم يقول: "ولقد ذهلت الباعونية عن معنى التجزئة فنظمت بيتها من السجع، وجزمت قولها ما أرم من غير جازم على اللغة الرديئة وذلك قولها:

بـلـغـت مـا أرمِ مـنـهـم بـلا أرم عمن جلا غمي بـالعزم والهمم[2]

أمّا الشيخ عزالدين الموصلي فلم يستوف معنى التجزئة إنما مشى على مقتضى تعريفه لها في شرحه حيث قال (الموصلي): التجزئة تقطيع الناظم بيته أجزاء عروضية، وتسجيعها على وزنين مختلفين الأول: رَوِيُّه يخالف رويّ البيت، والذي يتلوه كذلك على رويِّ البيت وليس هذا معنى التجزئة"[3]. التجزئة هي: أن يأتي المتكلم ببيت ويجزئه جميعه أجزاء عروضية، ويسجعها كلها على وزنين مختلفين أحدهما على رويّ يخالف رويَّ البيت، والثاني على رويّ البيت، وذلك كما في بيت النابلسي:

والسمع في صمم عن جمع ذا الكلم والـدمع كـالـديم في لمع بـرقـهـم

فالسمع على وزن جمع والدمع ولمع، وصمم على وزن الكلم والديم وبرقهم.[4]

[1] النابلسي، نفحات الأزهار، ص:78و79

[2] انظر البديعية وشرحها الفتح المبين في مدح الامين عائشة الباعونية، تحقيق عادل عزاوي وعباس ثابت، دار سعدالدين، دمشق. يرى ان البيت ورد برواية أخرى ففي نسخة ب وردت دون جزم أما في نسخة أ وردت كما النابلسي:" بلغت ما أرِم منهم بلا أرِم عمن جلى غِمعَي بالعزم" وهذا ليس موضوعنا لانه يندرج تحت النقد اللغوي ص:151

[3] ن.م.، ص: 65و66

[4] ن.م.، ص: 65

8. **الكلام الجامع**: يعلق على بيت الموصلي في الكلام الجامع:

كلامـه جـامع وصــف الكلام كمـا يهيج الشــوق أنواعـا من الرنم

وقد صدق من قال ليس في هذا البيت ما يدل على حكمة ولا موعظة ولا غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الأمثال.

ويستحسن النابلسي الكلام الجامع الذي تكون جملة ألفاظه: حكمة أو موعظة أو تنبيها أو من الحقائق التي تجري مجرى المثل كما في قوله (النابلسي):

ومن يكن بسـوى الأشـواق متصـفا فـانـه بعـد لم يوجـد من العـدم

فنرى النابلسي معجبا ببيته؛ لأنّه وافق التعريف فوصفه بأنّه "ظاهر المعنى مرتفع المبنى لا يحتاج إلى بيان، وذلك كقول المتنبي[915م-965]:[1]

وإذا كـانـت الـنـفـوس كـبـارا تـعـبـت في مـرادهـا الأجسـام

وقول نجم الدين عماره اليمني ت: 1174م: [2]

من كان لا يعشــق الأجياد والحدقا ويـدعي لـذة الـدنيـا فما صــدقا

وكقول الشاعر:

[1] المتنبي، **ديوان المتنبي**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر،1983م، ص:261

[2] عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين.مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن، ولد في تهامة ورحل إلى زبيد سنة 531هـ، وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام (أمير مكة) إلى الفائز الفاطمي سنة 550 في وزارة (طلائع بن رزيك) فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه، فأقام عندهم، ومدحهم. ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم وملك السلطان (صلاح الدين) الديار المصرية، فرثاهم عمارة واتفق مع سبعة من أعيان المصريين على الفتك بصلاح الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة، وعمارة في جملتهم. له تصانيف، منها (أخبار اليمن- ط)، و(أخبار الوزراء المصريين- ط)، و(المفيد في أخبار زبيد)، و(ديوان شعر- خ) كبير. والمنشور من شعره في الموسوعة (273) قصيدة في (2543) بيتا، وانظر في الوراق طائفة من شعره في (خريدة العصر) فهو من كبار شعراء الخريدة،

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده"[1]

9. **القسم:** أما بيت الحلي الذي جاء به دليلا على "القسم:

لا لقبتني المعالي بابن نجدتها يوم الفخار ولا برّ التقى قسمي

وهو بيت غير صالح للتجريد لتعلقه بما بعده وهو بيت الاستعارة، ... وذلك قوله:

ان لم أحث مطايا العزم مثقلة من القوافي تؤم المجد عن اَمم"[2]

هذا البيت ذكره الصفي الحلي في باب الاستعارة، وعلق عليه النابلسي انه لم يفهم له معنى لتعلقه بما قبله وذلك معيب".[3]

والقسم: أن يحلف المتكلم بما يكون مدحا له، أو ما يكسبه فخرا أو ما يكون هجاء لغيره او ما يشتمل على الغزل والنسيب والتشبيب بالأماكن والمتنزهات، كما في قول عبد المحسن الصوري:

يا غزالا قد رمى باللحظ قلبي فأصابا بالذي ألهم تعذيبي ثناياك العذابا

والذي ألبس خديك من الورد نقابا"[4]

والنابلسي في نقده للشعر يبيّن الفروق الدقيقة بين المتشابهات من أنواع البديع كالتمكين والتسهيم والتوشيح[5] وغيرها، ويعقب على الشعراء بقوله:" لم يدرك معنى كذا أو اختلط علية الفرق بين هذا النوع وذاك، أو هذا لا يصلح على هذا النوع نظرا لمخالفته التعريف، كما في قوله: وليس هذا الا نوع الرجوع"[6]

[1] النابلسي، نفحات الأزهار، ص:78و79

[2] ن.م.، ص:99

[3] ن.م.، ص: 77

[4] ن.م.، ص: 99

[5] ن.م.، ص: 236

[6] ن.م.، ص: 99 320،322،328،305

10. **حسن البيان**: كما نجد النابلسي يفصّل في النوع البديعي ويفرق بين الحسن والوسط والقبيح، فمن ذلك قوله عن النوع البديعي (**حسن البيان**) فيقول: "ومطلق البيان على ثلاثة أقسام: الأحسن والأقبح، والأوسط فالأحسن كبيت قصيدتي:

متى يزورك مشـــتـاق أضـــر بـه طول النوى فحكى لحما على وضـم

حيث توافر فيه الإيجاز والإطناب ففي قوله: متى يزورك إيجاز، والمقام يطلب ذلك الإيجاز لتعجيل ذلك والإسراع به، والإطناب في قوله: طول النوى يحكي لحما على وضم، فالمقام يقتضي الإطناب؛ لأنّ فيه وصف المشتاق بمضرة البين والفراق، بيانا لغاية اشتياقه"[1] ثم يسترسل في ذكر أمثلة الأحسن، وبعدها ينتقل إلى البيان الأقبح ويمثل عليه بشواهد".[2]

11. **حصر الجزئي في الكلي**: وفي هذا النوع لم يوفق كلٌّ من الشيخ عزالدين الموصلي ولا ابن حجة الحموي ولا عائشة الباعونية في التمثيل عليه، إلا ذكر اسم النوع فقط فالموصلي في قوله:

فـألحقْ الجزء بـالكلي منحصـــرا إذ دينـه الجنس للأديـان كلهم

ويعلق على بيت ابن حجة: ما وجدت للكلام عليه فسحة لأمور، مع أن بيته في هذا النوع قوله:

ألحق بحصـــر جميع الأنبيـاء بـه فـالجزء يلحق بـالكلي للعظم

وما أبعد بيت الباعونية عن هذا النوع وهو قولها:

ذو المجـد حيـث أهـل الحي قـاطبـة تســير تحت لواه يوم حشـــرهم"[3]

12. **الهزل الذي أُريد به الجد**: ولم يوفق الموصلي في المثال الذي حاء به مثالا على الهزل أريد به جدّ:

---

[1] ن.م.، ص:321

[2] ن.م.، ص:222, 221

[3] ن.م.، ص: 147

"هـزل أريـد بـه جـدٌّ عـتـابـك لي كما كتمت بياض الشـيب بالكتم

"وليس في هذا البيت هزل أريد به الجد، وإنما حكاية مشتملة على تسمية النوع لا غير"[1]، وما أبعد بيت الباعونية عن هذا النوع وذلك قولها:

أتعبـت نفســك في عـذلي فمعـذرة مني إليك فسـمعي عنك في صـمم

ومن العجيب أنها تقول في شرحها وفي إنصاف المتبحرين في هذا الفن ما يغني عن بسط الكلام في محاسن بيتي المتقدم من مجيء النوع بشروطه ورقته، وسهولته وحسن سبكه، وبروزه في أحسن القوالب اهـ وكأنها أرادت بهذا التمدُّحِ التعمية على المتأمل"[2].

فـكـيـف يـقـر في الأفـهـام شـيء إذا احـتـاج الـنـهـار إلى دلـيـل"[3]

يشدد النكير ويتهكم على الباعونية في هذا الشاهد على النوع البديعي الهزل يراد به الجد، وذلك أنّ البيت لا يصلح للنوع وليس فيه دليل عليه، والباعونية أغارت على بيتي البوصيري وسرقت لفظهما مع بعض التغييرات، وذلك في قول البوصيري:

يـا لائمي في الهوى العـذري معـذرة مني إليـك ولو أنصــفـت لم تلم

وقوله:

محضتني النصح لكن لست أسمعه إنَّ المحبّ عن العذّال في صــمم[4]

ونسبت الحسن في اللفظ والمعنى والسبك إلى بيتها. ونرى النابلسي يعلل ذلك أنها أرادت التعمية على المتلقي كي لا يُلتَفَت إلى قول البوصيري، علما أن بردة البوصيري من أشهر القصائد التي عرفتها العامة، ناهيك عن معرفة آهل العلم والذوق من المشتغلين في الشعر ونقده؛ ولذا حُقَّ للنابلسي أن يصرح باستغرابه لهذا الصنيع من التمدُّح لبيتها

[1] ن.م. 152و153

[2] نفحات الأزهار، ص 153

[3] ن.م.، ص: 153

[4] انظر البوصيري، شرف الدين أبي عبدالله محمد **بردة المديح المباركة**، مكتبة الحضارة، دمشق، 1978م، ص: 3 و 4

المذكور؛ وهي سقطة لا يقع فيها أقل الشعراء خبرة ودراية، ومع ذلك كله من التمدُّح لبيتها لم توفق فيما قصدت إليه من التمثيل على النوع البديعي (الهزل المراد به الجد) ومثل هذه السرقات لا تحتاج إلى أدلة وبراهين كما قال مستشهدا بقول المتنبي:

وكيف يقرّ في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل[1]

13. الهجاء في معرض المدح

ينتقد بيت الشيخ عز الدين الموصلي الذي لم يوفق في التمثيل عليه:

في معرض المدح يهجى من قبيلته أعراضهم بين معمور ومنهدم

يقول النابلسي: "وبعد التصريح بالهجاء كيف يكون ذلك محتمل المدح، وإنما هجاء العاذل هنا بسبب قبيلته "[2]

14. معاتبة المرء نفسه: والنابلسي يعقب على شرحه للنوع البديعي (**معاتبة المرء نفسه**) بقوله: "ولم ينتبه لحقيقة هذا النوع إلا ابن حجة الحموي في قوله:

يا نفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي مني ولم تقطعي آمال وصلهم

ويشدد النكير على شاهد صفيّ الدين الحلي، وينقده نقدا لاذعا ويعيب عليه؛ إذ لم يوفق بالمثال ولم يكتف به بل يستشهد ببيت للمتنبي لا يتطابق مع معنى عتاب المرء نفسه، وكأنه لم يفهم معناه، وذلك في قول صفي الدين الحلي:

أنا المفرط أطلعت العدو على سري وأودعت نفسي كل مخترم

[1] انظر **ديوان المتنبي**، دار بيروت،1983، ص 343 البيت للمتنبي وقد ورد وليس يصح في الأفهام شيء : إذا احتاج النهار إلى دليلٍ وقد أورده النابلسي وكيف يقر مخالفا لما عليه نسخ ديوان المتنبي.

[2] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 156

"وأيّ خطاب للنفس في هذا البيت فضلا عن معاتبته معا، ومن المعيب أنّ مثل هذا الشاعر الماهر يذكر نوعا ويأتي بمثال غير مطابق، ولم يكفه حتى استشهد له في شرحه بقول المتنبي:[1]

وأنا الذي اجتلبَ المنيةَ طرفُه فمَنْ المُطالَبُ والقتيلُ القاتلُ

وأغرب منه بيت صفي الدين الحليّ:

عاتبت نفسي إذ أتعبتها بهوى مجهول سبل بلا هاد ولا علم"[2]

15. حسن التخلص:

يقول معلقا على هذا النوع البديعي المحدث الذي لم يعرف علماء البديع وشعراؤه له طريقا إلا ما وقع لهم نادرا، وهذا يعني أنّ المحدثين كانوا يقصدونه قصدا إذ أصبح في وقتهم نوعا بديعيا يتكلف قوله الشعراء ويتبارون فيه، ويقول النابلسي: "فهي طريقة تفرد بها المولدون والعصريون دون المتقدمين إلا ما وقع لهم نادرا[3]. وانظر تر ذلك في بيت قصيدتي:

وليس لي اليوم شغل عندما رحلوا سوى بهم بل بمدحي أشرف الأمم

ظاهر المعنى مستقيم المبنى، يسوغ لي بسبب ما خلص إليه أن أقول إنه أشرف من قول أبي تمام:

ظلمتك ظالمة البريء ظلوم والظلم من ذي قدرة مذموم

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طلول باللوى ورسوم

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طلول باللوى ورسوم

[1] المتنبي، **ديوان المتنبي**، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983م، ص:177

[2] النابلسي، **نفحات الأزهار** ص: 122

[3] أنظر ذلك في كتاب أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، ط1، 1998، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ج/3 ص:24

لا والـذي هـو عـالـم أن الـنـوى مـرّ وأنّ أبـا الحســين كـريـم"[1]

لم يكتف النابلسي كعادته بذكر المحاسن بل في هذا الباب يطيل في ذكر المخالص المستكرهة والتي لا يقبلها الذوق السليم، ويعلل ذلك بالتمثيل والمقارنة وبيان السبب؛ كما في مخالص أبي الطيب المتنبي، وأبي نواس وذكر آراء النقاد من العلماء كما في قوله: ومن مستكرهات المخالص "قول أبي الطيب:

لو اسـتطعت ركبت الناس كلهم الى ســعيـد بن عبـد الله بعرانـا

قال الصاحب: وهذا من أخزى الخزايا، ومن الناس أمُّه فهل ينشط لركوبها. والممدوح لعل له عصبة لا يريد أن يركبوا إليه فهل في الأرض أفحش من هذا التسحيب وأوضع من هذا التبسط، ومثله قوله:

عـلّ الأمير يـرى ذلي فـيشـــفـع لي إلى التي تـركتني في الـهوى مثلا

وسبب قبح هذا المخلص أن جعل ممدوحه ساعيا بينه وبين محبوبته بالوصال وقد سبقه أبو نواس إلى ذلك حيث قال:

سـأشـكو إلى الفضـل بن يحيى بن هواك لعـل الفضــل يجمع بيننـا"[2]

ثم يورد من محاسنه في هذا الباب أربعة عشر مثالا على حسن التخلص ولولا:" الإطالة "لاستقصيت من هذا النوع ما تضمنه ديواني المسمى بغزلان الخمائل وميدان الرسائل، ولكن أمسكت عنان القلم عن ذلك حسما لمادة الإطالة وفرارا من لحوق السآمة والملالة، وإنما وقع التطويل في هذا النوع؛ لأنه ابتداء المديح النبوي؛ فيكون فيه زيادة اعتناء على غيره من الأنواع"[3] ولكن "لا بأس بإيراد ما وقع لي من المخالص الحسنة لأختم سيئة هذين

[1] ن.م.، ص:123

[2] ن.م.، ص:127

[3] ن.م.، ص: 129

الشاعرين[1] - يقصد المتنبي وأبي نواس- بالحسنة فمن ذلك قولي:[2]

قبلته والروض يبسم ثغره منا وتلحظنا عيون النرجس
حتى إذا ما السكر أثقله وقد لعبت به سِنَةُ الجفون النُّعَّس
وَسَّدْتُه مني اليمين معانقا وأطعت فيه تشوقي وتوسوسي
حتى الصباح فأوهمت نسماته نظم ابن يحيى بالرقائق يكتسي

وبيت النابلسي في حسن التخلص:

وليس لي اليوم شغل عندما رحلوا سوى بهم بل بمدحي أشرف الأمم"[3]

ويأخذ على الصفيّ الحلي والموصلي في هذا الباب ان بيتيهما لا يصلحان "لحسن التخلص" بل لم يوفقا في هذا النوع من حسن التخلص، ويشدد النكير عليهما، ويقول في بيت الحلي:

من كل معربة الألفاظ معجمة يزينها مدح خير العرب والعجم

والبيت متعلق بما قبله وذلك قوله:

لا لقبتني المعالي بابن نجدتها يوم الفخار ولا برّ التقى قسمي
إن لم أحث مطايا العزم مثقلة من القوافي تؤم المجد عن أمم

ومن العجائب سماه بيت التخلص، وهو غير متخلص مما قبله". أما بيت الموصلي:

حسن التخلص من ذنبي العظيم غدا بمدح خير خلق الله كلهم

"هذا البيت ليس له التئام بما قبله فليس من حسن التخلص في شيء، وانما فيه الاقتضاب وهو ان ينتقل الشاعر من معنى إلى معنى آخر من غير تعلق بينهما، كأنه ابتداء كلام آخر وهو مذهب العرب العرباء، ومن يليهم من المخضرمين، كقول أبي تمام:

لو رأى الله أن في الشيب خيرا جاورته الأبرار في الخلد شيبا

[1] يقصد ابا الطيب المتنبي والحسن بن هاني ابا نؤاس ص:127

[2] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 128

[3] ن.م.، وقد قدم البيت الرابع على الثالث في الترتيب . ص: 123

كل يوم تبدي صروف الليالي خلقا من أبي سعيد غريبا"[1]

ويسكت عن التعليق حين يورد بيتي ابن حجة الحموي والباعونية ولم يعلق بشيء

16. **الجمع مع التفريق:** وفي النوع البديعي "الجمع مع التفريق" يرى أن الشيخ عز الدين الموصلي لم يوفق في قوله:

"وعزمه النار في جمع يفرقه ووجه النور يجلو حندس الغشم

يقول النابلسي في نقده لهذا البيت ومعللا نقده أن الذوق السليم لا يقبل أن يكون بيت الموصلي شاهدا على هذا النوع؛ لمخالفته للتعريف وهو: أن يجمع المتكلم بين شيئين في حكم واحد ثم يفرق بينهما: وأين الجمع بين شيئين في حكم واحد؟! إذ الأول النار والثاني النور، على ما وجدته في جميع النسخ، ولو كان الثاني النار لما ناسب وجهه صلى الله عليه وسلم، أو كان الأول النور ما حسن الإخبار به عن العزم في تفريق الجمع كما لا يخفى على أهل الذوق."[2]

وفي معرض نقده لبيت الباعونية الذي وفقت فيه في التمثيل على "الجمع مع التفريق" واكتفى بنقده دون تعليل وبيان الأسباب التي دعته للإعجاب ببيت الباعونية؛ كونها أتت بالمطلوب وحققت مقتضيات التعريف وحدوده، بلغة ناسبت ذوق النابلسي وهو قولها:

"عُلاه كالشمس لا يخفى على بصر والوجه كالشمس[3] يجلو حالك الظلم

يقول: وهو بيت تجاذبته الرقة والرشاقة وفتح له إلى المحاسن طاقة"[4].

17. **الكناية:** نراه يعاف التكلم على بيت الشيخ عز الدين الموصلي؛ لما في كنايته من لفظ أزعج ذائقته الفنية وذلك قوله:

---

[1] ن.م.، ص: 129

[2] ن.م.، ص: 16

[3] وفي احدى الروايات كالبدر انظر البديعية وشرحها الفتح المبين في مدح الأمين، مرجع سابق، ص142

[4] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 161

داع كثير رماد القدر إذ وصـفت كنـايـة بطنهـا والظهر للـدسـم

يقول النابلسي: وقد ضمخ بطن هذا القدر وظهره بذكر الدسم فعافت الأنفس التكلم عليه"[1]

18. الرجوع: ينتقد الموصلي في باب الرجوع[2] الذي لم يوفق في التمثيل عليه فأتى بالاستثناء في بيته:

رمت الرجوع عن الأمداح انظمها إلا مـديح شـــديـد القوم محترم

فيقول: وأين العود على الكلام السابق بالنقص وإنما في البيت نوع من **الاستثناء**"[3]

ونراه يشدد النكير على ابن حجة في شرحه لمعنى الرجوع حيث قال ابن حجة:" والذي أقوله ان هذا النوع أعني الرجوع لا فرق بينه وبين السلب والإيجاب ... ويعلق النابلسي: قلت: الفرق مثل الصبح ظاهر؛ وما ذاك إلا انه لما نقل في السلب والإيجاب تقرير أبي هلال العسكري[4] فبنى عليه عدم الفرق، ولو نظر في تعريف ابن أبي الإصبع[5] إمام هذه

---

[1] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 163

[2] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 163

[3] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 164 وانظر الاستثناء ص: 219

[4] العسكري، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت:395 ه)، **الصناعتين الشعر والكتابة** تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب للعلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1981م يعرف العسكري السلب والإيجاب بقوله وهو أن تبني الكلام على نفي شيء من جهة وإثباته من جهة أخرى أو الأمر من جهة والنهي عنه من جهة أخرى ص456

[5] المصري، ابن أبي الإصبع (654-585ه) **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** تحقيق: حفني محمد شرف، 1963م، يعرف الرجوع على انه على قسمين : قسم يتقدم الاستدراكَ فيه تقريرٌ لما أخبر به المتكلم وتوكيد. وقسم لا يتقدمه ذلك فمن أمثلة الأول، قول ابن الرومي: وإخوان تخذتهم دروعا:فكانوا دروعا ولكن للأعادي/ وخلتهم سهاما صائبات: فكانوها ولكن في فؤادي/ وقالوا قد صفت منا قلوب: لقد صدقوا ولكن من ودادي ومن شواهد القسم الثاني قول زهير:أخو ثقة لا تهلك الخمر مال:ولكنه قد يهلك المال نائله انظر ص: 331و332

الصناعة ومعتمدها لما اشتبه عليه مثل ذلك، وسيتضح لك في محله"[1]

19. السلب والإيجاب: يأخذ على صفي الدين الحلّي انه مثل على السلب والإيجاب بما لا يوافق معناه وذلك في قوله:

أغرّ لا يمنع الراجين وما طلبوا ويمنع الجار من ضيم ومن حرم

وقال: "ومراده "لا يمنع ويمنع" فالأول سلب والثاني إيجاب، وليس هذا معنى السلب والإيجاب؛ إذ شرطه عموم السلب أولا ثم خصوص الإثبات وليس هذا إلا نوع الرجوع"[2]، والسلب والإيجاب:" وهو أن يقصد المتكلم إفراد شخص بصفة، لا يشاركه فيها غيره، فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس، ثم يثبتها لذلك الشخص كما في بيت الخنساء:

وما بلغت كف امرئ متناولا من المجد إلا والذي نلت أطول"[3]

ثم يسلط سهام نقده على بيت الباعونية، متعجبا من تضاربها والخلط بين التعريفات في شرحها كما فعل ابن حجة الحموي، الذي اتبع فيه الموصلي الذي تمسك بتعريف أبي هلال العسكري الذي يتحد فيه السلب والإيجاب مع نوع الرجوع، والذي عدل فيه إلى تعريف الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع[4] ليفرق بين النوعين: الرجوع[5] والسلب والإيجاب، وهذا ما فعلته الباعونية في شرح بيتها:

لا يسلبون بفضل الله ما وهبوا ويسلبوا ضرر الإملاق بالكرم

---

[1] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 164 وانظر السلب والإيجاب ص:305 من **نفحات الأزهار**

[2] ن.م.، ص306

[3] ن.م.، ص 305

[4] المصري، **تحرير التحبير** مصدر سابق ص:593:عرف السلب والإيجاب بـ: أن يقصد المادح أن يفرد ممدوحه بصفة مدح لا يشركه فيها غيره، فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس، ويثبتها لممدوحه بعد ذلك كقول الخنساء في أخيها:وما بلغت كفّ امرئ متناولا:من المجد الا والذي نلت أطول

[5] المصري، **تحرير التحبير** مرجع سابق، ص: 331

إذ قررت تعريف الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع[1] في أول كلامها ثم قالت: والصواب ما ذكره العلامة الشهاب محمود[2]،

وذكرت تعريف أبي هلال العسكري[3] ثم يقول النابلسي ناقدا: ليت شعري أغفلت عن نوع الرجوع فلم تلاحظه عند هذا التعريف؟! أم عدلت عما قرره ابن حجة من اتحاد النوعين مع أنها معتمدة على كلامه، ولا تلقبه إلا بالعلّامة، كما يشهد بذلك مواضع من شرحها، وبيتها في هذا النوع جار على منوال من تقدمها، وقد سلبت من بيت ابن حجة ما أرادت وحذفت نون الرفع من المضارع بغير ناصب ولا جازم وذلك لغة رديئة في العربية "[4] وهنا نتبين مدى تركيز النابلسي معتمدا على سعة علمه واطلاعه وتمييز الفروق الدقيقة بين الأنواع البديعة والتي غابت عن علماء البديع مما أوقعهم في الخلط بين المصطلحات والمفاهيم

20. **الاستثناء الصناعي:** الاستثناء[5] هو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى زائدا حسنا يستحق به الإتيان في باب البديع، وفي بيت النابلسي يفيد زيادة التوبيخ للمخالفين

[1] يقول عنه النابلسي إمام هذه الصناعة ورئيس هذه الجماعة ص: 306

[2] انظر الحلبي شهاب الدين محمود، **حُسْنُ التَّوَسُّل إلى صِناعةِ التَّرَسُّل** صاحب ديوان الإنشاء بدمشق (ت:725هـ)، مصر المطبعة الوهبية 1881م، 1298هـ ص:77 / يعرف السلب والإيجاب: هو أن يوقع الكلام على نفي شيء وإثباته في بيت واحد كقوله: وننكر إن شئنا على الناس قولهم:ولا ينكرون القول حين نقول. وكقول الشماخ: هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها: ويملأ منها كل حجل ودملج.

[3] العسكري، **الصناعتين** مصدر سابق قال: الرجوع وهو أن يذكر شيئا ثم يرجع عنه كقول القائل: قليل العلم كثير، بل ليس من العلم قليل ص: 443

[4] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص306:

[5] نجد النابلسي قسم الاستثناء إلى قسمين: صناعي ولغوي فاللغوي ما ذكره النحاة والصناعي وهو إخراج القليل من الكثير ويفيد معنى زائدا وهذا ما قسمه ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير ص: 333 والنابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 219

للنبي صلى الله عليه وسلم وإيهام إخراجهم من صفة الخلق المشعر بالوجود، والتصريح بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وان كان لهم سمع وبصر، وذلك في قول النابلسي:

"والخلق طرا قد انقادت لبعثته إلا الذي صــمّ عن آياته وعمي"[1]

وفي (الاستثناء) ينتقد الرِّكة والقلاقة في استثناء الصفيّ الحلي وذلك في قوله:

"فكل ما ســرَّ قلبي واســتراح بـه إلا الدموع عصــاني بعد بعدهم"[2]

ويقول معلقا على ابن حجة الحموي في **حسن التعليل** فمن"العجائب انه مشى على طريقة الصفي الحلي في تفسير التعليل: بأنّه إرادة المتكلم ذكر حكم واقع، أو متوقع فيقدم قبل ذكره علّة وقوعه، ولكون رتبة العلة أن تتقدم على المعلول، وهذا التفسير مخالف لما عليه علماء هذا الفن، ومع ذلك قدّم في بيته المعلول على العلة كما ترى فحينئذ المراد من النوع مطلق التعليل لحكم من الأحكام ولا قائل بدخول ذلك في فن البديع كما لا يخفى على أحد"[3].

فنون بديعية انفرد بها النابلسي:

تفرد النابلسي بذكر بعض أنواع البديع التي لم يأت بها أحد من قبله من أصحاب البديعيّات، كالاستشهاد والإضراب والتأريخ والتصحيح. وهذه الألوان لم ترد عند أصحاب البديعيات وغيرهم كنوع من أنواع البديع، ولم يذكروها في شروحاتهم ولم يستشهدوا بها كنوع من أنواع البديع.

1. **الإضراب**[4]: يقول النابلسي: "وهو نوع استخرجته ولم يسبقني إليه أحد وسميته بهذا الاسم لاشتماله على حرف الإضراب وهو ان يجمع المتكلم بين جمل أو مفردات متناسقة

[1] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 219

[2] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 221

[3] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 168

[4] النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص: 292

من مدح أو هجاء او غيره، ثم يفصل بينها بحرف الإضراب وأحسنه ما كان فيه ترق أو تدل... وهذا النوع لم تعرفه أصحاب البديعيّات الأربع ولا غيرهم. كما في قوله:

نجوم أهـل الهـدى بـل هم أهلتـه بـل البـدور التي تجلو دجـا الظلم

ومثله قول الشاب الظريف بن العفيف:

يا نجم بل يا بدر بل يا شـمس بل كـلٌّ نـراه يـلـوح مـن أزراره

2. "**التأريخ**"[1] من الأنواع التي انفرد فيها النابلسي وأدرجه ضمن الأنواع البديعيّة، وهذا سبقه وتفرده. وهو أن يأتي الشاعر أو المتكلم بكلمة أو كلمات إذا حسبت حروفها بحساب الجُمَّل، بلغت عدد السنوات التي يريدها المتكلم من تاريخ هجرة النبي... ويشترط في التأريخ أن يتقدم على ألفاظه لفظ أرّخْ أو أرِّخُوا وهو نوع اخترعه المتأخرون ولهم فيه العجب العجاب، وقد أدرجته في سلك فنون البديع لعلو مراتبه، وسمو مناقبه، ولطافة مسلكه، .... وأحسن التأريخ ما جاء منسجم الألفاظ مؤتلف المعنى خاليا من التكلف والتعسف. وقد انفرد فيه النابلسي ولم يذكره أحد من أصحاب البديعيّات ولا "وذلك مثل قوله:

وقـلـت لـلـربـع لمـا الـفـكـر أرخـهـا بـأربع قـد تمّ مـدحي سـيّـد الأمم

1075هـ

وبحساب الجمل المشهور تبلغ ألفا وخمسا وسبعين وهو عام إتمام هذه القصيدة"[2]

والنابلسي يقبله على ما فيه من تعمل وصنعة وتكلف، وكيف يكون مثل هذا النوع خاليا من التكلف والتعسف وهو إدخال الحساب في الأدب ويعلل قبوله للتأريخ على ما فيه من صنعة ليس مجالها الأدب، بل التأريخ قائم على الحذق والذكاء.

[1] ن.م.، ص:336

[2] ن.م.، ص: 339

3. **الاستشهاد**: هذا النوع من اختراع المتأخرين، ولم يرد عند أصحاب البديعيّات ولا غيرهم "وهو أن يذكر الشاعر اسمه أو لقبه نظمه، بأسلوب حسن تستعذبه الأسماع وتلتذّ به الطباع. وقد وقع في شعر المتقدمين كما في معلقة امرئ القيس:

تقول وقد مال الغبيط بنا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

وجاء في شعر المولدين، كقول المتنبي:

جمعت بين جسم احمد والسقـ ـم وبين الجفون والتسهيد

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبي فراس قوله عند موته:

أبنيتي لا تجزعي كل الأنام إلى ذهاب
نوحي علي بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي اذا ناديتني وعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فراس لم يمتع بالشباب

واستشهد بأبيات للواسطي والزيات والصوري، وعبدالله بن طاهر، ...الخ" ويرى ان المتأخرين "هم فرسان هذا النوع، ولم ينظم هذا النوع أحد من أصحاب البديعيّات ولا غيرهم ممن رأيت."[1]

4. **التصحيح**[2]: هذا النوع من مستخرجات السيوطي، وسماه **المُنْتَخَل** في ألفيته تلخيص المفتاح[3] فغير اسمه النابلسي إلى **التصحيح** " لما في اللفظ من تصحيح لحن الألثغ؛ وذلك

[1] ن.م.، ص:330

[2] ن.م.، ص: 276

[3] أصل الكتاب أرجوزة اسمها (**عقود الجمان**) نظمها السيوطي في ألف بيت في علم المعاني والبيان والبديع مختصرا وملخصا في أبياتها في كتاب النكت (النكت على تلخيص المفتاح) للخطيب القزويني، الذي هو تلخيص لكتاب المفتاح للسكاكي. والكتاب فيما يبدو مفقود، أنظر بحث "مؤلفات السيوطي في علم البلاغة" د. نجاح بنت أحمد الظهار، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها،ع1، شوال

لأنه عبارة عن كلام مشتمل على ألفاظ لو قرأها الالثغ لا يعاب عليه؛ لصحة المعنى واستقامته وهو في بيت قصيدتي:

زين الورى أخذوا عنه فسار لهم به التمدح بين الخلق كلهم

وزين الورى لو قرأها الالثغ زين الوغى بمعنى الحرب لاستقام المعنى ومنه قول الشاعر:

وشادن يلثغ في سينه جئت اليه أشكو بثي
رقّ لحالي فترشفته وزدت حتى قال بثي

ولأبي عثمان بن سعيد بن هاشم:

وشادن قلت له ما اسمه فقال لي بالغنج عباث
فصرت من لثغته ألثغا فقلت أين الكاث والطاث

لم يعرف هذا النوع صفي الدين الحلي، ولا غيره من أصحاب البديعيات.

أكتفي بهذا القدر من الشواهد على النقد البلاغي عند النابلسي، وقد ذكرت ما يفي بالمقصود من البحث، ولو كان في المجال متسع لاستقصيت أكثر من هذا؛ إذ الشرح مسكون بالقضايا النقدية ودراستها تحتاج إلى أكثر من بحث أو دراسة أكاديمية شاملة.

1424 هـ ص: 869 و875 . وذكر السيوطي هذا المصطلح البديعي باسم المُنْتَخَل في ألفيته، البيت رقم: 937 قال: واللفظ إذ يقرؤه الألثغ لا : يعاب قد سميته المُنْتَخَلا

الخلاصة:

من خلال الدراسة والبحث نخلص إلى أن النابلسي أديب ناقد يملك أدوات نقده: من ذوق وقدرة على التحليل والمقايسة والمقارنة، وسرد الشواهد والحكم دون تعصب إلى هذا أو ذاك، فنجده يبين مواطن الجمال والحسن، ويثني عليه ذلك الثناء الذي يشبع نهم الشاعر الذائق الذي يميّز من خلال ذائقته الأدبية[1]، وحين يسمع بما تمجُّه ذائقته ينفر ذلك النفور الذي أفسد عليه لذة التلقي، وعندها نراه يقبح النص ويبين مكامن القبح فيه، ولم أجده تحيّز لشاعر دون آخر، كما أخذ العهد على نفسه في مقدمة شرحه[2].

وشرح النابلسي غني بالنقد المنهجي المعلل في أكثره، ولا يخلو في بعض المواطن من النقد الانطباعي التأثريّ، حيث نجده يستقصي النصّوص، ويدرسها بإمعان ويحللها ويعللها ويميز بين أساليبها، فنجده في نقده قد دقَّق في للفظ والمعنى والطبع والصنعة والسرقات الأدبية، والقضايا النحوية، والأنواع البديعية، والتعريف بمصطلحاتها والاستدراكات عليها وبيان الفرق بين ما تشابه منها وما وقع فيه الشعراء من الخلط بين المصطلحات وغيرها من قضايا النقد بكل طرقه ومناهجه. وكل هذه الأقسام نظر فيها النابلسي نظرة ناقد عالم بفن الشعر؛ مما يجعل الباحث يزعم أن نقده نقد منهجي إذ نجده خلال نفحاته لجأ إلى التعليل والتمثيل والمقارنة بين النصوص، كما التزم العدل والإنصاف دون تعصب، والنابلسي يستشهد بآراء من سبقه من أهل النقد والأدب، كابي هلال العسكري في الصناعتين، وابن المعتز في كتابه البديع، والصلاح الصفدي في كتابة رشف الزلال في وصف الهلال، والشيخ زكي الدين ابن أبي الإصبع في كتاب تحرير التحبير، والشهاب محمود الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، والسيوطي، في عقود الجمان في البلاغة والبيان، والنكت على تلخيص المفتاح،

[1] والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها وهي أن الذوق لا بد أن يكون من مراجع الحكم النهائي في الأدب ونقده، مقدمة النقد المنهجي عند العرب محمد مندور، دار نهضة مصر 1996م، ص:6

[2] قال في مقدمته:"طاويا كشح التعصب والاعتساف، وسالكا مسلك العدالة، والإنصاف" النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص:4

والقزويني في تلخيص المفتاح، والسكاكي في كتابه المفتاح، إضافة لشروح كل من شعراء البديعيّات الأربع الصفي الحلي والشيخ عز الدين الموصلي وابن حجة الحموي وعائشة الباعونية... الخ. وكان في نفحاته يناقشهم ويسلط الضوء على ما وقعوا فيه من أخطاء في التعريف والشرح والتعليل، ولم يكن مقلدا بل نجده يحقق ويدقق ويصحح بلغة الناقد الخبير" لانّ الناقد هو من يتناول النصوص ويدرسها ويميز بين أساليبها كما فعل الآمدي، الذي أصبح النقد بفضله نقدا منهجيا، ولم يعد مجرد خواطر كما كان من قبل، ولا أحكاما جزئية ثم تعمم – فقد تناول البحتري وأبا تمام فيفصل القول فيهما ويستقصي كل أخطائهما وسرقاتهما ومحاسنهما وعيوبهما، ثم يوازن بينهما في المعاني التي طرقاها والأغراض التي اتجها إليها، قاصرا أحكامه على ما أمامه . فطورا يفضل هذا وطورا يفضل ذاك معللا آراءه موردا حججه"[1] وهل الشعر عند ابن قتيبة غير: اللفظ والوزن والقافية والمعنى"[2] وبالرغم من ذلك لم يكن ابن قتيبة قد أثر في رسم منهج للنقد الأدبي كما نجده عند الآمدي في موازنته والجرجاني في الوساطة، فكلاهما قدما موروثا نقديا للنقد العربي وذلك بنقدهما لشعر البحتري وأبي تمام وشعر المتنبي نقدا دقيقا مفصلا نقدا منهجيا"[3]

أما ما نجده عند النابلسي في نقده لبعض النصوص نقدا مباشرا تأثريا انطباعيا، فهذا لا يلغي قيمة منهجه النقدي؛ إذ من حقه فيما يراه حسنا ويتوافق مع ذائقته أو رديئا لا ينسجم مع ذائقته أن يحكم عليها بألفاظ مباشرة دون تتبع وتفصيل وبيان لسبب الحسن أو القبح و"التأثير التلقائي والتحليل المروي وسائل مشروعة ولازمة ولكنها غير كافية ... ولا بد من

[1] مندور محمد، **النقد المنهجي** مصدر سابق، ص : 48 و49

[2] هذه هي عناصر الشعر عند ابن قدامه في **نقد الشعر**، وعليها يدور كتابة وتفسيره لتعريفه للشعر الذي هو لفظ موزون مقفى يدل على معنى ويشترط أن يكون ائتلاف بين اللفظ والمعنى وائتلاف اللفظ مع الوزن وائتلاف المعنى مع الوزن وائتلاف المعنى مع القافية وضمن ومن ثم يفصل فيها كأن يكون اللفظ سهل المخارج وعليه رونق من الفصاحة وخال من البشاعة ويرى جودة المعاني وسلاسة مخرج القافية، كما يرى سهولة العروض في الوزن. ص:7 وما بعدها

[3] مندور محمد، **النقد المنهجي** مصدر سابق، ص74

مساعدات أخرى، في استخدام العلوم المساعدة ..."[1] "والعدل في الأدب ليس معناه إهمال الذوق الشخصي وعدم الحكم على الرديء برداءته والجيد بجودته، وإنما معناه الخلو من التعصب الذي لا يقوم على حجة فنية، ولا ينظر للأشياء نظرة فاحصة مستفيضة"[2]

وهذا هو منهج النابلسي في النقد، والأدلة على هذا كثيرة ومتوافرة في نفحات الأزهار وهو ما بيَّنّاه خلال هذا البحث.

التوصيات:

- يوصي الباحث بضرورة قيام الباحثين بإعادة النظر في أدب العصر العثماني الذي لم ينل حظه من الدراسات لما أشاعه المستشرقون والدارسون العرب الذين تأثروا بهم فلم ينظروا في أدب هذا العصر المظلوم بتسميته لتحقيق أجندات سياسية غربية بل اكتفوا بما أشيع حول هذا العصر ووصفه بعصر الانحطاط، علما أنه عصر النهضة العلمية، وعصر وفرة التأليف التي أعادت للحضارة الإسلامية ما فقدته من مؤلفات بسبب الحروب التي قضت على المكتبات العامة والخاصة قبل العصور المتتابعة والعصر العثماني منها فأعادوا صياغة العلوم والتأليف في شتى مجالاتها.
- كما يوصي الباحث الدارسين بمتابعة البحث في علوم ومؤلفات الشيخ عبدالغني النابلسي الأدبية لما تحويه من قيمة أدبية مسكوت عنها.

[1] ن.م.، ص:411

[2] ن.م.، ص 92 – 93

المصادر والمراجع

أبرش نوال، أحمد علي محمد. "النقد البلاغي عند صلاح الدين الصفدي." **مجلة جامعة البعث**، المجلد 36، العدد 10، 2014.

ابن حجة، الحموي، تقي الدين أبو بكر. **خزانة الأدب وغاية الأرب**،1291هـ. د.م: د.ن، د.ت.

صدر الدين بن معصوم المدني. **أنوار الربيع في أنواع البديع**. تحقيق: شاكر هادي شكر، ط1. النجف الأشرف: مطبعة النعمان، 1998.

الباعونية، عائشة. **البديعية وشرحها الفتح المبين في مدح الأمين**. تحقيق: عادل عزاوي وعباس ثابت. دمشق: دار سعدالدين، د.ت.

البديعيات الخمس في مدح النبي المختار. مصر: مطبعة الفجالة، 1897م.

البوصيري، شرف الدين أبي عبدالله محمد. **بردة المديح المباركة**. دمشق: مكتبة الحضارة، 1978م.

حبيب بن أوس الطائي. **ديوان أبي تمام**. فسر ألفاظه محي الدين الخياط، د.م: د.ن، د.ت.

الحلبي شهاب الدين محمود. **حُسْنُ التَّوَسُّل إلى صِناعةِ التَّرَسُّل**، مصر المطبعة الوهبية 1881م، 1298هـ

الحلي، شرح صفي الدين الحلي. **النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية في المدائح النبوية**. د.م: د.ن، د.ت.

الزوزني الحسين بن أحمد. **شرح المعلقات السبع**. بيروت- لبنان: دار القلم، د.ت.

السيوطي. **(عقود الجمان) في علم المعاني والبديع والبيان**. د.م: د.ن، د.ت.

الصاوي، محمد إسماعيل عبد الله. **شرح ديوان جرير**. مضافا إليه تفسيرات محمد بن حبيب. ط1. القاهرة: مطبعة الصاوي، 1353هـ.

صدر الأفاضل، القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي. **ضرام السقط، شرح سقط الزند**. مخطوط في مكتبة برلين تحت رقم 761، والمكتبة القيصرية في النمسا تحت رقم 46

الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك. **رشف الزلال في وصف الهلال**. تحقيق: محمد عايش، سوريا: دار الأوائل، 2009

الظهار، نجاح بنت أحمد،"مؤلفات السيوطي في علم البلاغة" بحث **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها**، ع1، شوال 1424هـ.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت:395 هـ). **الصناعتين الشعر والكتابة**. تحقيق: مفيد قميحة. ط1. بيروت: دار الكتب للعلمية، 1981م.

قدامه ابن جعفر. **نقد الشعر**. تحقيق: عبدالمنعم خفاجي. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

القزويني، الخطيب. **النكت على تلخيص المفتاح**. د.م: د.ن، د.ت.

المتنبي. **ديوان المتنبي**. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1983م.

المصري، ابن أبي الإصبع (654-585هـ). **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**. تحقيق: حفني محمد شرف، 1963م.

مندور، محمد. **النقد المنهجي عند العرب**. دار نهضة مصر 1996م.

النابلسي عبدالغني بن إسماعيل. **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، شرح البديعية المزرية بالعقود الجوهرية**. ط3. بيروت: عالم الكتب، 1404هـ-1984م.

اليازجي، الشيخ ناصيف. **العرف الطيِّب في شرح ديوان أبي الطيّب**. بيروت: دار صادر، د.ت.